مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 2 السّنة: الثّلاثيّ الأوّل 2021 ص 329- 350

تمام حسان والدّرس اللساني التطبيقي العربي

Tammam Hassan and the Applied Linguistic Arabic Theme

د. خالدّ حسن العدواني*

تاريخ الإرسال 01- 12- 2019 / تاريخ القبول 08- 03- 2020

التعريف الرقمي للمقال: DOI 10.33705/0114-023-002-021

الملخّص: حاولنا في هذا البحث أن نقف عند جهود تمام حسان في مجال دراسة اللغة العربيّة دراسة لسانيّة تطبيقيّة؛ لنرى إلى أي مدًى وصلت جهوده في هذا المضمار؟

وقد أفضى بنا البحث في هذا المجال إلى جملة نتائج، يمكن أن نوجزها على النّحو التّالي:

1-إنّ جهود تمام حسان في هذا المجال لم تشمل كل مجالات علم اللغة التّطبيقي التي ذكرناها في بداية البحث، بل إنّها قد اقتصرت على بعضها؛ إذ نستطيع أن نجد له كلاماً في ثمانيّة منها فقط.

2-إنّ كلامه في المجالات السّابقة لم يكن، في رأينا، موفقاً دائماً، بل إنّه كان ينطوي أحياناً على أمور تحتمل المناقشة، ويمكن أن نقدّم مثالاً لذلك ممّا جاء في اقتراحه المتعلّق بإصلاح نظام الكتابة العربيّة.

3-إنّ جهود تمام حسان في هذا المجال لا يمكن أن تُوصَف بأنّها تامة، ولكنّها مع ذلك تعدّ قاعدة مهمّة يمكن للدارسين أن ينطلقوا منها باتجاه هدفهم في تأسيس هذا الدّرس.

الكلمات المفتاحيّة: تمام حسان، الدّرس اللساني التّطبيقي، علم اللغة النّفسي-علم اللغة الاجتماعي.

* معهد اللغات الحيّة بقسم اللغة العربيّة بجامعة ماردين آرتكلو التّركيّة، البريد الإلكتروني: Aladwani.sh@gmail.com (المؤلّف المرسل)

Abstract: In this research we tried to find out the efforts of Tammam Hassan to study Arabıc language by the method of applied linguistics. and to see how far his efforts were fruitful.

This research has resulted in a variety of conclusions summarized hereunder:

1. Tmmam Hassan's efforts have not covered all the fields of applied linguistics mentioned right at the beginning of this research. His efforts were confined to some of these fields leaving behind other ones. We can trace only eight fields in his speech related to the ones discussed.

2. In our opinion, he was not always certain in his eight field mentioned above. His speech involves controversial issues. We can extend am example stated in his proposition related to rectify the system of Arabic writing.

3. Tammam Hassan's efforts in this field can never be described as an Arabic applied linguistic theme complete by itself. However, they can be viewed as an essential basis on which Arab readers can depend on heading towards their purpose represented in establishing this theme.

Key Words: Tammam Hassan, Applied linguistic Theme Psycholinguistics. Sociolinguistics.

المقدّمة: لم يقف تمام حسان، في مسعاه الهادف إلى تأسيس درس لساني عربي حديث عند حدود العمل على دراسة العربيّة دراسة لسانيّة نظريّة، تتناول مستوياتها التّشكيليّة والصّرفيّة، والنّحويّة، والمعجميّة، والدّلاليّة فحسب، بل إنّه تجاوز ذلك إلى بعد آخر، وهذا البعد هو الإفادة من نتائج تلك الدّراسة النّظريّة في الميدان التّطبيقي.

وفي هذا البحث سوف نقوم بتسليط الضّوء على هذا الجانب في كتابات الرّجل لنرى إلى أي مدًى وصلت جهوده في هذا المضمار؟ وما مدى صلاحيّة هذه الجهود في أن تكون نواة يمكن الانطلاق منها في مشروع تأسيس درس لساني تطبيقي عربي؟.

أمّا الخطة التي سوف نتبعها لبلوغ هذه الغاية، فإنّها تقوم على استقراء جهود تمام حسان في هذا المعرض، ثم توزيعها على ما يناسبها من مجالات علم اللغة التّطبيقي المختلفة، من مثل (حسان، تمام، 1979م)[1]: تصميم الأنظمة الكتابيّة، وهندسة الاتصال اللغوي، ولغة الإعلام، والإعلان التّجاري، والتّخطيط اللغوي، والتّحليل النّفسي- (يعني علم اللغة النّفسي)، وكتابة المعاجم (يعني إعداد المعاجم)، وعلاج العيوب النّطقيّة، والتّرجمة وجغرافيا اللهجات، ومحو الأميّة، وطرق استخدام العقول الإلكترونيّة، والنّقد الأدبي وأصول التّذوق وعلم اللغة الاجتماعي، وتعليم اللغة.

جهوده في موضوع تصميم الأنظمة الكتابيّة: إنّ اعتراض تمام حسان على بعض جوانب النّقص في نظام الكتابة العربيّة جعله يسعى منذ وقت مبكّر من مسيرته العلميّة إلى تصميم نظام كتابي عربي جديد يتجاوز هذه الجوانب من النّقص، ومفاد هذه المحاولة أنّ النّظام الكتابي العربي الجديد يجب أن يُبْنَى على نقطتين (حسان تمام، 2000م)[2]: الأولى هي الالتّزام بتمثيل الحروف Phonemes التي يتألّف منها النّظام الصّوتي للغة العربيّة لا الأصوات Allophones التي تندرج تحت هذه الحروف (نحن نستعمل ههنا مصطلحات تمام حسان وكذلك دأبنا في كل ما يرد في هذا البحث من مصطلحات) فنجعل للنون مثلاً رمزاً واحداً فقط يدل عليها بوصفها وحدة من وحدات النّظام الصّوتي لهذه اللغة، لا رموزاً عدة تدل على تنوعاتها النّطقيّة التي ترد في السّياق الكلامي، من مثل النّون المخفاة والنّون المظهرة وغير ذلك والثّانيّة هي الاعتماد على رموز كتابيّة جديدة مشتقة من الأبجديتين الإغريقيّة واللاتينيّة لتمثيل هذه الحروف (حسان تمام، 1986م)[3].

على أنّ ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنّ تمام حسان قد رأى، مع مرور الأيام، أنّ الأَولَى في هذه المرحلة هو الحفاظ على النّظام الكتابي المتوارث، وقد كان منطلقه في ذلك ليس شكه في صحة اقتراحه السّابق (وهذا يعني تمسكه بهذا الاقتراح من هذه النّاحيّة)، بل ما يقف دون تطبيق هذا الاقتراح تطبيقاً صحيحاً من عقبات ماليّة وقوميّة ونفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة (حسان، تمام، 2000م)[4].

جهوده في موضوع لغة الإعلام: تنطوي كتابات تمام حسان، في الواقع، على بعض الإشارات المتصلة بلغة الإعلام عند العرب في العصر الحديث، ومن ذلك على سبيل المثال ما نجده في مقاله المسمى (لغة الإعلام)؛ إذ نجد الباحث في هذا المقال يتناول خصائص لغة الإعلام ومنها لغة الإعلام العربي، من جوانب مختلفة من مثل: التّراكيب، والأسلوب والأفكار، وطابع الاتصال الإعلامي، وتسخير العلم والتّكنولوجيا والفن، والإعلام المنطوق والإعلام المكتوب، والحرب الباردة (حسان تمام، 1988م)[5].

ومن ذلك أيضاً ما نجده في مقاله المسمّى (اللغة العربيّة والحداثة)؛ إذ نراه في أحد المواطن من هذا المقال يشير إلى بعض خصائص لغة الإعلام العربيّة من حيث التّركيب، من مثل استخدام المضارع للدلالة على المضي، وإرجاع الضّمير على متأخّر وغير ذلك، إذ يقول: " أمّا من حيث التّراكيب، فاقرأ أي واحدة من الصّحف العربيّة وسترى المضارع يدل على الماضي ويقترن بظرف زمان يفيد المضي، فيقال مثلاً " الزّعيم الفلاني يصل أمس فجأة إلى القاهرة ويجري محادثات مع المسؤولين المصريين "، وستجد الكاف المشهورة التي لا تفيد تشبيهاً ولا تعليلاً عند قول بعضهم "أنا كأستاذ لمادة كذا أرى كذا" وستجد أيضاً عوداً للضمير على متأخّر في قول بعضهم " في عرضه للموضع (للموضوع) الفلاني قال فلان كذا وكذا"، أو إخراجاً للفعل عن تعدّيته أو لزومه، إذ يقال: " التّقى فلان فلاناً "(حسان تمام، 1984م)[6].

جهوده في موضوع التّخطيط اللغوي: لا يعدم الدّارس أن يجد في كتابات تمام حسان بعض الأفكار التي تتصل بالتّخطيط للغة العربيّة، وعلى كل حال يمكن أن نقف، في هذا المقام، عند ثلاثة أمثلة مهمّة: الأوّل هو ما قاله في مقام السّعي إلى زيادة نشر اللغة العربيّة بين أبنائها من العرب وغير أبنائها من المسلمين؛ إذ نراه، في هذا المقام، يقدّم لنا بعض الاقتراحات المفيدة في هذا المجال، من مثل التّركيز في تعليم اللغة العربيّة لأبنائها ولغير أبنائها على الاستعمال الفعلي الحي، وليس على القواعد النّحويّة الجامدة، وتعريب تعليم العلوم

الطّبيعيّة والرّياضيّة في الجامعات العربيّة، وتوحيد برامج تعليم التّراث والتّعليم الحديث في التّعليم العام، وكتابة اللغات الإسلاميّة بالحرف العربي، وتشجيع الجمعيات الإسلاميّة التي تعلم اللغة العربيّة في مدارسها في أنحاء العالم الإسلامي، والكشف عن كنوز الأدب العربي الموجودة في الأقاليم الإسلاميّة، وتسخير وسائل الإعلام لمحاربة خلط الكلام العربي بالألفاظ الأجنبيّة وكتابة أسماء المؤسّسات بكلام أجنبي مكتوب بخط عربي، وتسخيرها مع المدارس من أجل إعادة الإحساس بالولاء للإسلام وللوطن الإسلامي إلى نفوسنا وتشجيعها على أن تُسوِّق القدوة في برامجها التّمثيليّة والمسرحيّة والسّينمائيّة، وإنشاء اتفاقيات ثقافيّة بين العرب والشّعوب الإسلاميّة تتضمن تبادل نتائج بعض الاقتراحات السّابقة عند تنفيذ هذه الاقتراحات (حسان تمام، 1990م)[7].

وأمّا المثال الثّاني في هذا المقام، فهو ما قاله في ميدان العمل على كتابة اللغات الإسلاميّة بالحرف العربي؛ إذ نراه يقدّم لنا في هذا المعرض برنامجاً يتألف من ست نقاط أساسيّة (حسان تمام، 2007م)[8]: الأولى هي الكشف عن النّظام الصّوتي للغة المقصودة والثّانيّة هي البدء في اختراع الرّمز المعرَّب أو تعدّيله للتعبير عمّا يختلف عن النّطق العربي من أصوات هذه اللغة غير العربيّة، والثّالثّة هي تمثيل الحركات في الكتابة، والرّابعة هي اختبار مدى كفاءة هذه الحروف من خلال كتابة نصوص مختارة بها، والخامسة هي الاتصال بالجمعيات الإسلاميّة المشتغلة بالتّعليم لإقناعها بجدوى المشروع، والسّادسة هي الاتصال بالحكومات من أجل عرض المشروع.

وأمّا المثال الثّالثّ، فهو الخطة التي عرضها في سبيل حل مشكلة تعدّد مجامع اللغة العربيّة في العالم العربي المعاصر وما تؤدّي إليه من ضياع الجهود؛ إذ رأى في هذا المقام أنّ حل هذه المشكلة يكون من خلال الالتزام بنقطتين (حسان تمام 2006م)[9]: الأولى هي تفعيل دور اتحاد المجامع العربيّة بحيث يصبح هذا الاتحاد يصدر توصياته في المجال اللغوي باسم المجامع العربيّة جميعاً بعد النّظر في قرارات المجامع المحليّة واختيار ما يراه مناسباً ورفض ما عداه والثّانيّة هي أن ينشئ هذا الاتحاد علاقات بينه وبين الهيئات الثّقافيّة الأهليّة والرّسميّة من صحافيّة إلى جمعيات ثقافيّة إلى إعلاميّة إلى غير ذلك على صورة عضويات مراسلة، ثم يمد هذه الهيئات بقراراته للعمل بها.

جهوده في موضوع كتابة المعاجم (إعداد المعاجم): الواقع أنّ تمام حسان لم يكتفِ في كتاباته بنقد ما رآه من جوانب النّقص في التّأليف المعجمي عند العرب القدماء ومن سار على نهجهم من العرب المعاصرين فحسب بل إنّه قد حاول أن يقدّم خطّة لتطوير هذا العمل أيضاً، فهو يرى في أحد المواضع أنّ تطوير المعجم العربي يكون من خلال مراعاة أسس أربعة (حسان تمام، 1986م)[10]: الأوّل هو هجاء الكلمة والثّاني هو طريقة النّطق، والثّالث هو التّحديد الصّرفي، والرّابع هو الشّرح الذي يتطلّب جملة أمور، هي: بيان الأشكال المختلفة للكلمة المفردة إن وجدت وتخصيص مدخل لكل اشتقاق من اشتقاقات المادّة، وشرح المعاني المختلفة للكلمة الواحدة والاستشهاد على كل معنًى من المعاني التي يوردها المعجم للكلمة وذكر ضمائم الكلمة (التّوارد والتّلازم)، ويرى في موضع آخر أنّ هذا التّطوير يجب أن يتم من خلال تحرير المفردات من ربقة الاعتبارات الاشتقاقيّة بالنّسبة إلى المداخل (الاعتماد على الكلمات لا على أصول المادة)، ومن خلال السّماح للألفاظ الحضاريّة والاصطلاحيّة بالدّخول إلى ساحة المعجم وعدم الاقتصار على الألفاظ التي يتحقّق فيها معيار الفصاحة (حسان تمام 1974م)[11].

جهوده في موضوع التّرجمة: إنّ اهتمام تمام حسان بهذا الموضوع لم يكن بحسب استقرائنا، عاماً، بل إنّه قد اقتصر على جانب واحد فقط، وهذا الجانب هو جانب ترجمة المصطلح؛ إذ نستطيع أن نجد في كتاباته غير إشارة إلى هذا الموضوع، ومن ذلك ما نراه في مقاله المسمّى (وظيفة اللغة في مجتمعنا المعاصر) من بيان للطرق المتبعة في ترجمة المصطلحات الأجنبيّة إلى العربيّة، من مثل التّعريب والاشتقاق والتّخصيص الدّلالي المتمثّل في تحويل المعنى اللغوي العرفي العام إلى معنًى اصطلاحي عرفي خاص. يقول: " أمّا التّرجمة، فلا تكون نتيجتها بالضّرورة كلمة معرّبة ولا كلمة مشتقّة اشتقاقاً حديثًا، وإنّما الغالب فيها استخدام التّخصيص الدّلالي بتحويل المعنى اللغوي العرفي العام إلى معنًى اصطلاحي عرفي خاص كأن تتحوّل كلمة الهاتف من الدّلالة اللغويّة على كل من يهتف بشيء إلى الدّلالة الاصطلاحيّة على جهاز التّليفون (حسان تمام، 1966م) "[12].

ومنه أيضاً ما نراه في الجزء الثّاني من كتابه (مقالات في اللغة والأدب)، من بيان لأسباب سوء ترجمة المصطلحات الأجنبيّة إلى العربيّة، ولا سيما انعدام التّنسيق بين الأفراد الذين يضطلعون بهذه المهمة. يقول: " أمّا ترجمة المصطلح من اللغة الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة فقد

شاعت في الوقت الحاضر وشاع سوء استعمالها أيضاً وتكمن المخاطر الجسيمة لهذا النّوع من النّشاط في أسباب واضحة أهمّها أنّ معظم المترجمين للمصطلحات كانوا في ماضيهم طلاباً في جامعات الغرب يتلقّون العلم بواسطة المصطلحات الأجنبيّة وينشئون أطرهم الفكريّة من خلال هذه المصطلحات وقد يفكّر أحدهم في كيفيّة التّعبير بالعربيّة عن مفهوم اصطلاحي ما فيصل مستقلاً إلى ترجمته دون أن ينظر في احتمال وجود ترجمة له سابقة قام بها غيره حتى إذا عاد إلى بلده العربي عاد وفي جعبته عدد من محاولات التّرجمة التي تفتقر إلى شرط العرفيّة الواجبة للمصطلح، وهكذا تختلف محاولات التّرجمة للمصطلح الواحد حتى في حدود المؤسّسة العلميّة الواحدة "(حسان تمام، 2006م)[13].

جهوده في موضوع محو الأمّيّة (تعليم الكبار): لا يعدم الدّارس، في الواقع أن يجد في كتابات تمام حسان بعض الإشارات إلى هذا الموضوع، ولعلّ أهم تلك الإشارات وأجدرها بالملاحظة ما نراه في قوله: " وأجدر شيء بالاعتبار في تعليم الكبار الأميين أن يرتبط هذا التّعليم منذ البداية بالصّالح العملي للمتعلم وأن تكون أمثلة التّعليم مأخوذة من التّراكيب التي يستعملها المتعلّم في حياته اليوميّة وألاّ يصر المعلّم على الفصيح وإنّما يصر على المشهور وإن كان هذا المشهور موغلاً في العاميّة. فإذا كان المتعلّمون هنا من بيئة متدينة فلا بأس من اختيار قصار الآيات والأحاديث المستعملة كثيراً في هذه البيئة؛ إذ تجري الآيات القصيرة أو العبارات المأخوذة من الآيات أو قصار الأحاديث على السنّة العوام يتمثّلون أو يستشهدون بها أحياناً فهذه جزء من لغتهم القوميّة يسرهم أن يتعلّموا كتابتها كما سرهم أن يحفظوها عن ظهر قلب" (حسان تمام، 1974م)[14].

جهوده في موضوع النّقد الأدبي وأصول التّذوق: لم يكتفِ تمام حسان باستثمار معارفه اللغويّة في الميادين السّابقة فحسب، بل إنّه قد حاول أن يستثمر هذه المعارف في ميدان النّقد الأدبي أيضاً، فقدّم دراسات عدة في ميدان نقد الأدب نقداً لغوياً، ومن ذلك دراسته المسماة (شاعريّة ابن زيدون في ضوء منهج مستحدث) التي حاول فيها أن يبيّن وسائل الأديب في الوصول بوساطة الأداء إلى دفع المتذوّق إلى المشاركة الوجدانيّة، فرأى أنّ خير ما يمكن أن يُتَوَصَّل به إلى هذه المشاركة هو البساطة، ورأى أيضاً أنّ هذه البساطة قد تكون في الموقف النّفسي، وقد جعل من أمثلتها بساطة الشّعراء العذريين وصدق عواطفهم وقد تكون في التّعبير، وقد جعل من أمثلتها أشياء عدة: أوّلها هو اختيار العبارات التي جرى

استعمالها في الغرض المراد حتى أصبحت من تقاليده من مثل عبارة (واكبداه) التي تُستعمل في مجال الحب، وثانيها هو التّعميم الذي يكون بوساطة التّنكير واستعمال كم الخبريّة ونحوهما وثالثها هو حذف بعض عناصر الكلام، من مثل حذف الموصوف أو الصّفة أو المفعول أو المبتدأ أو الخبر أو المضاف أو غير ذلك، ورابعها هو استخدام الأساليب الإنشائيّة (حسان تمام، 1975م)[15].

ومن ذلك أيضاً دراسته المسمّاة (صوتيّة الأدب) التي حاول أن يبيّن في بعض مفاصلها أنّ الأدب العربي في جميع عصوره، ومنها هذا العصر، هو أدب يُعنَى أشد العناية بالنّاحيّة الصّوتيّة المسموعة، وأنّ هذه النّاحيّة تتجلى من خلال أمور كثيرة منها ما يتعلّق باللفظ المفرد، من مثل سلاسة الكلمة (عدم احتوائها على صوتين متجاورين لهما مخرج واحد أو مخرجان شديدا القرب)، وشعريتها (كونها سلسة وغير غريبة على الاستعمال العام وغير سوقيّة مسفة)، ومنها ما يتعلّق بالجملة وما فوقها من مثل المحسنات البديعيّة في البلاغة والوزن والقافيّة في عمود الشّعر(حسان تمام 1959م)[16].

ومنه أيضاً دراسته المسمّاة (موقف الأديب والفنان بين الحريّة والالتّزام) التي حاول أن يبيّن في أحد مواضعها موقف الأديب من اللغة، وخلاصة كلامه ههنا هي أنّ على الأديب، إذا كان ينشد تقبل مجتمعه لما يقول، عليه أن يلتزم بأصوات لغته وصرفها ونحوها، ومعجمها ودلالات جملها، وأساليبها، فلا يتصرّف في واحد من هذه الأمور بحسب اختياره، ولا يتحدى العرف (حسان تمام، 1975م)[17].

ومنه أيضاً دراسته المعروضة في الجزء الثّاني من كتابه المهم (البيان في روائع القرآن) التي وقف في بعض فصولها عن بعض الجوانب الأسلوبيّة في النّص القرآني، من مثل دلالة الكنائيات (ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات) في النّص القرآني (حسان تمام 2000م)[18]، ومفهوم المسافة (وهو مفهوم يقوم أساساً على مراعاة معياري القرب والبعد وهو قد يدل على مسافة حسيّة وقد يدل على مسافة معنويّة) في النّص القرآني (حسان تمام، 2000م)[19]، والأسلوب العدولي (العدول عن أصل الوضع أو أصل القاعدة) في القرآن الكريم (حسان تمام، 2000م)[20]، والمؤشّرات الأسلوبيّة (يراد بالمؤشر الأسلوبي في عرف هذا البحث العزوف المقصود عن توخي الأصل الاستعمالي للغة سعياً إلى غاية ما) في القرآن

الكريم(حسان تمام 2000م)[21] وأساليب التّوجيه في النّص القرآني(حسان تمام 2000م)[22]، وأسلوب الدّعوة في القرآن الكريم(حسان تمام، 2000م)[23].

جهوده في موضوع تعليم اللغة: على الرّغم من كل ما سبق يبقى موضوع تعليم اللغة العربيّة هو الموضوع الأكثر أهميّة في كتابات تمام حسان؛ إذ يستطيع الدّارس أن يجد في هذه الكتابات إشارات كثيرة إليه، وهذه الإشارات، منها ما أخذ طابع الفقرة ضمن بحث، ومنها ما وقف عند حدود المقال، من مثل دراسته المسمّاة (كيف نعلم غير النّاطقين بالعربيّة تحديد المعنى النّحوي في غيبة العلامة الإعرابيّة) ودراسته المسمّاة (مشكلات تعليم الأصوات لغير النّاطقين بالعربيّة)، ومنها ما تجاوز هذه الحدود، فوصل إلى حد الكتاب الكامل، من مثل كتابه المسمّى (التّمهيد في اكتساب اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها).

والواقع أن ذ جهوده في هذا الميدان قد جاءت على شكلين: الأوذل يتناول تعليم اللغة لأبنائها، والثّاني، وهو الأكثر حظوة لديه، يتناول تعليمها لغير أبنائها من الطّلاب غير العرب الذين جاؤوا ليتعلّموا هذه اللغة تحت تأثير غايات مختلفة.

أمّا تعليم اللغة العربيّة لأبنائها، فقد جاء كلامه عليه، بحسب استقرائنا، مختصراً جداً وقد وقف فيه عند أمرين: الأوّل هو تعليم اللغة للصغار، وممّا قاله هنا أنّ تعليم الأطفال يجب أن يكون من خلال التّركيز على أمرين: الأوّل هو تحديد الحصيلة اللغويّة لهؤلاء الصّغار من خلال تحديد المفردات العربيّة الفصيحة التي يشيع استعمالها في كلامهم والمفردات العلميّة التي تعدّ قريبة الشّبه من مفردات عربيّة فصيحة، ثم اتخاذ هذه الحصيلة نقطة بداية في عمليّة التّعليم، والثّاني هو الاهتمام بالجانب العملي التّدريبي أكثر من الاهتمام بالقواعد المعقّدة في عمليّة التّعليم. يقول في أحد المواضع: " والذي أقترحه لتعليم اللغة العربيّة للصغار أن يقوم هذا التّعليم لا على أساس المناهج التّقليديّة السّائدة في الوقت الحاضر، وإنّما ينبغي أوّلاً أن تجري البحوث الجادة للوصول إلى الحصيلة اللغويّة لهؤلاء الصّغار بتحديد المفردات العربيّة الفصيحة التي يشيع استعمالها في كلامهم والمفردات العلميّة التي تعتبر قريبة الشّبه من مفردات عربيّة فصيحة، ثم نجعل من هذه المفردات جميعها نقطة بداية لتعليم الطّفل، فلا يصطدم الطّفل منذ اللحظة الأولى بالغريب من المفردات فيخطر في باله أنّ الفصحى لغة غريبة عنه وأنّ تعليمها حمل عليه وهو مازال غض العود هش البنيّة. ثم علينا أيضاً أن ننظر إلى كسب اللغة لدى الطّفل نظرتنا إلى كسب

العادات والمهارات فنعنى بالجانب العملي التّدريبي أكثر ممّا نعنى بالقواعد المعقّدة التي قد يحتاج فهمها إلى مستوًى أعلى من مستوى الطّفولة. وليكن هذا التّدريب موجّهاً إلى اللسان والقلم وليكن مرماه الصّحة والطّلاقة وبحسبنا أن نسعى إلى هاتين الغايتين في تلك المرحلة المبكرة تاركين الدّقة والجمال لمرحلة الفتوة والشّباب بعد ذلك (حسان تمام، 1974م)[24].

والأمر الثّاني هو تعليم الكبار (محو الأميّة)، وقد وقفنا عند كلام تمام حسان عليه في فقرة سابقة من هذا البحث.

وأمّا تعليم اللغة العربيّة لغير أبنائها، فقد كان المحور الأساسي لكلام تمام حسان في مجال تعليم اللغة العربيّة، بل يمكن القول: إنّ الدّارس يستطيع أن يجد له نظريّة كاملة في هذا الميدان؛ إذ يرى هذا العالِم أنّ تعليم اللغة العربيّة لغير أبنائها يجب أن يتم من خلال مراعاة ثلاث عمليات أساسيّة، وهذه العمليات الثّلاث هي على التّرتيب: التّعرف والاستيعاب والاستمتاع.

أ- التّعرف: الواقع أنّ الدّارس يستطيع أن يقف في كلام تمام حسان على هذه العمليّة عند ثلاث نقاط أساسيّة: الأولى هي بيان مفهوم هذا الاصطلاح، وصفوة كلامه ههنا هي أنّ مصطلح التّعرف يعني: " إدراك العناصر اللغويّة والتّفريق بينها وربط كل عنصر بوظيفة خاصّة تبدو واضحة عند إنشاء التّقابل بينها وبين وظائف العناصر الأخرى، وذلك كإدراك السّين في " سار " بمقابلتها بالصّاد في " صار " وربط كل من الصّوتين بوظيفة خاصّة هي بيان الكلمة التي هو فيها، والتّفريق بينها وبين أختها، وكإدراك الفرق بين المقصود بصيغتي "فاعل" و "مفعول"، ووظيفة كل منهما في مقابل الأخرى" (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[25].

والثّانيّة هي الكلام على تعرف العناصر اللغويّة على المستويات الثّلاثة، ونعني بذلك المستوى الصّوتي والمستوى الصّرفي والمستوى النّحوي؛ إذ يبين في شأن الأوّل

(تعرف العناصر اللغويّة على المستوى الصّوتي) أنّ لعلم الأصوات قيمة كبيرة في ميدان التّعرف، وأنّ هذه القيمة تظهر في ميادين عدّة، من مثل الظّواهر الموقعيّة التي يرتبط وجودها بموقع معين في السّياق، فلا يلزم إلا في هذا الموقع (حسان تمام 1404هـ-1984م)[26] ومن مثل قرائن النّحو ذات الطّابع اللفظي وذات الطّابع المعنوي، ومن مثل تأصيل اشتقاق

الكلمات؛ إذ في كل ذلك تبدو الحاجة إلى معرفة علم الأصوات كبيرة (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[27]، فالدّارس، مثلاً، يحتاج من أجل فهم ظاهرة المناسبة التي تظهر في العربيّة في أشكال عدة، من مثل ما يطرأ على لفظ الجلالة من ترقيق اللام وتفخيمها وما يطرأ على الهاء في ضمير الغائب والغائبين والغائبتين والغائبين والغائبات من تغيير الحركة، يحتاج إلى معرفة علم الأصوات العربيّة، وهو يحتاج من أجل فهم الإعراب الذي قد يكون حركة (صوت) وقد يكون حرفاً (صوت)، وقد يكون حذفاً (غياب الصّوت)، وقد يكون تقديراً (تعذر النّطق بالصّوت)، وقد يكون محلاً، يحتاج إلى معرفة هذا العلم، ويحتاج من أجل معرفة الأصل الاشتقاقي للكلمة، من مثل معرفة أنّ الأصل في كلمة (عصا) هو (عصو) وأنّ الألف فيها منقلبة عن الواو، وأنّ الأصل في كلمة (عِدة) هو (وعدة) وأنّ الواو فيها قد حُذِفت، يحتاج إلى معرفة هذا العلم.

وأمّا تعرف العناصر اللغويّة على المستويين الصّرفي والنّحوي، فأهم ما جاء في كلام تمام حسان عليه هو تحديد القضايا الصّرفيّة والنّحويّة الضّروريّة لتعرف السّياق إذ نراه، في هذا المقام، يقوم برصد تسع قضايا صرفيّة ونحويّة، ويعدها من أساسيات تعليم اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها، وهذه القضايا هي على التّرتيب (حسان تمام 1404هـ-1984م)[28]: أقسام الكلم، والجمود والاشتقاق، وصيغ الاشتقاق، وبنيّة الكلمة التّركيبيّة والافتقار والاستغناء، وعلامات الإعراب، والظّواهر الموقعيّة والمقطع، والنّبر.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكلام على النّقطة الثّالثّة في عمليّة التّعرف، وهي موقف الطّالب غير النّاطق بالعربيّة من مشكلات تعرف عناصر هذه اللغة، فيقف أوّلاً عند مشكلات تعرف عناصر هذه اللغة على مستوى الأصوات، ثم يقف بعد ذلك عند مشكلات تعرف عناصرها على المستويين الصّرفي والنّحوي، ثم يقف أخيراً عند مشكلات تعرف عناصرها على المستوى المعجمي (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[29].

ب-الاستيعاب: الحقيقة أنّ الدّارس يستطيع أن يلخّص ما قاله تمام حسان في هذا المقام بنقطتين أساسيتين: الأولى هي بيان مفهوم هذا الاصطلاح، والثّانيّة هي بيان الأشكال التي يتجلّى بها هذا المفهوم.

1- دلالة مصطلح الاستيعاب: الواقع أنّ هذا الاصطلاح يعني في عرف تمام حسان فهم أنماط الجمل والقدرة على التّفريق بين هذه الأنماط. يقول في الدّلالة على هذا المعنى: "وأمّا الاستيعاب فيتخطى العناصر الجزئيّة ووظائفها إلى فهم أنماط الجمل، والتّفريق بين كل نمط منها وبين الآخر وذلك كمعرفة الفرق بين " ما أحسن زيدٌ "برفع زيد و" ما أحسن زيداً" بنصب زيد، وكالفرق بين نصب "سلام" ورفعه في قوله تعالى: ﴿قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾ [الآية 69 من سورة هود] ونصب "العرب" ورفعه في "نحن العربَ نكرم الضّيف" و"نحن العربُ"، والفرق بين جملتي "إذا" في قولنا "فإذا زيد انصرف خرجتُ"، "خرجتُ فإذا زيد انصرف" (حسان تمام 1404هـ -1984م)[30].

2-أشكال الاستيعاب: يفرّق تمام حسان في دراساته بين شكلين من الاستيعاب: الأوّل أطلق عليه اسم الاستيعاب الثّقافي، والثّاني أطلق عليه اسم الاستيعاب اللغوي.

أمّا الاستيعاب الثّقافي، فإنّ الدّارس يستطيع أن يقف في كلام تمام حسان عليه عند ثلاث نقاط: الأولى هي الكلام على الدّراسات الحديثة التي اهتمت بالنّظر إلى الاستعمال اللغوي في ضوء ثقافة المجتمع، من مثل نظريّة رؤيّة العالم التي قال بها فيلهيلم همبولدت (1767-1835م) والتي ترى أنّ اللغة هي تعبير عن روح الجماعة وتصوير لهذه الرّوح وتحديد لرؤيّة الجماعة اللغويّة للعالم من حولها(حسان تمام 1404هـ - 1984م)[31]، ومن مثل علم اللغة الاجتماعي الذي يُعنى بدراسة الارتباط المطرد بين البنيات اللغويّة والبنيات الاجتماعيّة ويرى أنّ اللغة لا تعدّو أن تكون نوعاً من أنواع السّلوك الاجتماعي (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[32]، والثّانيّة هي بيان المقصود بالثّقافة عندما ننسبها إلى مجتمعنا العربي الإسلامي وخلاصة حديثه ههنا هي أنّ لهذه الثّقافة جانبين يتكامل أحدهما مع الآخر حيناً، ويتعارض معه حيناً آخر، وهذان الجانبان هما الجانب القومي العربي والجانب الإسلامي، أو لنقل: جانب الثّقافة العربيّة وجانب الثّقافة الإسلاميّة (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[33] والثّالثّة هي بيان موقف الطّالب غير العربي من هذه الأمور، وهنا نراه يتناول الموضوع من زاويتين: الأولى هي زاويّة النّسبيّة اللغويّة والثّانيّة هي زاويّة المحتوى الثّقافي بجانبيه العربي والإسلامي.

أمّا الكلام على هذا الموقف من حيث النّسبيّة اللغويّة، فقد جاء متضمّناً نقاطاً عدّة (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[34]: أوّلاها هي بيان أنّ اللغة العربيّة هي لغة العرب

وحدهم، ومن ثم فهي تختلف عن لغات الأقوام الآخرين، والثّانيّة هي تحديد ما تختلف به هذه اللغة عن غيرها من اللغات، والثّالثّة هي الوقوف عند ما يدخل في مجال الاستيعاب من هذه الفروق، من مثل اختلاف اللغة العربيّة عن غيرها من حيث حصيلة المفردات (فكل لغة تسمّي ما في بيئتها وتسكت عن مسمّيات البيئات الأخرى)، ومن حيث عدم وجود تقابل تام بين مفرداتها ومفردات اللغات الأخرى (فكلمة جمل في العربيّة لا تقابل تماماً الكلمة الدّالة على هذا المخلوق في تركستان وذلك لوجود فروق خِلْقيّة ووظيفيّة بين الكائنين اللذين تدل عليهما هاتان الكلمتان) ومن حيث إنّها لا تحافظ على معاني الكلمات التي تقترضها من اللغات الأخرى كما هي، بل تعمد إلى تغيير هذه المعاني إلى معانٍ تلائم بيئتها، والرّابعة هي الكلام على الموقف من هذه النّسبيّة اللغويّة في تعليم اللغة والثّقافة التي تعبر عنها هذه اللغة؛ إذ رأى، في هذا المقام، أنّ لهذا الموقف جانبين: الأوّل يتعلّق بتقديم معاني المفردات وأهم ما رآه هنا هو أنّ تعليم معاني المفردات يجب أن يتم أوّلاً من خلال تعريض المتعلّم للاستعمال بحيث يسمع الكلمات في بيئاتها السّياقيّة منطوقة، ويراها مكتوبة فيوحي السّياق بمعناها وثانياً من خلال الشّرح، والثّاني هو، كما يرى، يتصل بتقديم المحتوى الثّقافي للدرس اللغوي.

وأمّا الكلام على هذا الموقف من حيث المحتوى الثّقافي بجانبيه العربي والإسلامي، فإنّه قد تضمّن نقطتين اثنتين (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[35]: الأولى هي بيان المعايير التي يجب أن تراعى عند تقديم المحتوى الثّقافي للدرس اللغوي العربي، من مثل أن تكون المادة المختارة قادرة على توليد المحبة في نفوس الدّارسين للثقافة العربيّة الإسلاميّة والكشف عن تفوق ما تشتمل عليه من القيم الدّينيّة والخلقيّة وأن تكون هذه المادة بسيطة، وألاّ تنطوي على عناصر تتعارض مع ثقافات الدّارسين، وأن تُعرض بطريقة حسنة، وأن تراعي غرض الطّالب من تعلم اللغة العربيّة، والثّانيّة هي بيان الأسس التي يمكن أن تُستخدم في تقويم استيعاب الطّالب للثقافة العربيّة الإسلاميّة، من مثل حسن المشاركة في الدّرس ومداومة الانتباه والأسئلة الدّالة على الفهم وحسن الإجابة في الاختبارات وانعكاس ما تعلمه من الثّقافة على سلوكه الشّخصي.

هذه خلاصة ما قاله تمام حسان في مجال الاستيعاب الثّقافي، أمّا الشّق الثّاني من الاستيعاب، وهو الاستيعاب اللغوي، فإنّ الباحث قد ركز في كلامه عليه على نقطتين اثنتين: الأولى هي التّغيرات البلاغيّة والأسلوبيّة التي يمكن أن تطرأ على المعنى الأصلي للكلمة

والثّانيّة هي موقف الطّالب غير النّاطق بالعربيّة من هذه المعاني غير الأصليّة.

أمّا النّقطة الأولى، فقد جاء في كلام تمام حسان عليها أنّ المعنى الأصلي للكلمة العربيّة قد يتعرض أحياناً إلى بعض التّغيرات البلاغيّة والأسلوبيّة، فينشأ عن ذلك جملة من المعاني الفرعيّة، من مثل المعنى الذي يعود إلى عادات الطّبيعة، كمعنى سقوط المطر المستخلص من رؤيّة البرق والرّعد ومعنى الخوف المستخلص من ملاحظة وجود صفرة في الوجه ومعنى الخفة والطّرب المستخلص من إيقاع النّغمة السّريع وغيرذلك، ومن مثل المعنى الذي يعود إلى حركة النّفس كالمعنى الذي يفهمه السّامع أو القارئ من الإحساسات والمواقف التي يعبر عنها المتكلّم أو الكاتب والمعنى الذي يفهمه السّامع أو القارئ من خلال ارتباط العبارة بمعنى آخر لها ينسب إليها، والمعنى الذي يفهمه السّامع أو القارئ من معنى التّقديم والتّأخير والتّأكيد والاعتراض والفصل ونحو ذلك في العبارة، ومن مثل المعنى الذي يعود إلى ارتباطات المنطق كالذي يلاحَظ في مفردات اللغة من علاقات التّرادف والتّضاد والاشتراك اللفظي والعموم والخصوص والتّدرج والنّسبة والتّقابل والتّصنيف، وفي جمل اللغة من علاقات التّرادف والاستلزام والتّعارض وتحصيل الحاصل والتّناقض والاقتضاء والإخراج والإحالة والمخالفة، ومن مثل المعنى الذي يعود إلى حدود العرف كالمعنى الوظيفي الذي يؤدّيه الجزء التّحليلي الذي دون الكلمة المفردة والمعنى المعجمي الذي ينسب إلى الكلمة في المعجم، سواء أكان لها بحسب أصل وضعها أم بحسب التّطور الدّلالي المؤدي إلى تعدّد هذا المعنى المعجمي للكلمة الواحدة، وأهم ما قاله ههنا هو أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول هي علاقة عرفيّة من صنع المجتمع الذي يستعمل اللغة وليس للفرد أن يتصرّف فيها، سواء أكان ذلك في حدود الكلمة الواحدة أم في حدود علاقة الكلمة بالكلمة المجاورة لها، فلا يحق له تغيير اللفظ مع الإبقاء على المعنى ولا تغيير المعنى مع الإبقاء على اللفظ، كما لا يحق له أن يستخدم كلمة مع أخرى لا تناسبها معجمياً إلاّ إذا كان هنالك مسوغ بلاغي كالذي نراه في بعض الإجراءات البلاغيّة كالاستعارة والمجاز المرسل، إذ لا تكون المناسبة المعجميّة شرطاً ضروريا في مثل هذه الحال (حسان تمام 1404هـ - 1984م)[36].

وأمّا النّقطة الثّانيّة، وهي الوقوف عند موقف الطّالب غير النّاطق بالعربيّة من هذه المعاني، فإنّ تمام حسان قد تناولها تناولاً موجزاً؛ إذ لم يقف عند موقف هذا الطّالب من جميع تلك المعاني، بل إنّه اقتصر على الوقوف عند موقفه من اثنين منها: الأوّل هو موقفه من

المعاني الطّبيعيّة، وخلاصة حديثه هنا أنّ قدرة الطّالب على استيعاب المعاني الطّبيعيّة للعناصر اللغويّة في اللغة الفصحى تقتضي-أن يكون هناك تعاون بين معلّم النّصوص والتّدريب على كتابة المقال (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[37]، والثّاني هو الوقوف عند موقفه من العلاقة الفنيّة التي قد تقوم أحياناً بين مفردات اللغة بعد أن يتم تجاوز العلاقة العرفيّة، ويستطيع الدّارس أن يجد لتمام حسان جملة ملاحظات، منها أنّ استيعاب الطّالب للعلاقات العرفيّة للمفردات مرهون بعدد محدود من الكلمات العربيّة التي تعلمها ومنها أنّ هذا العدد من الكلمات يستوعب الطّالب جملة صالحة منه بوساطة سياق الاستعمال ويخطئ في بعضه إصابة المعنى، ومنها أنّ جهد المعلم في شرح المفردات مهما صدق، لا يمكن أن يشتمل على كل ما يصادفه الطّالب من مفردات، ومنها أنّ كثيراً من المفردات التي يحفظها الطّالب لا يرد إلاّ في الأسلوب الكتابي ممّا يترك هذه الكلمات رهينة النّصوص المكتوبة وتمثل عبئاً على ذاكرة الطّالب، ومنها أنّ الطّالب غير النّاطق بالعربيّة لا يمكن له أن يستخدم الكلمات استخداماً فنياً إلاّ إذا خضع لعمليّة تعليميّة منظمة، ومنها أنّ هذا الطّالب الذي لا يقوى على إدراك العلاقات الفنيّة سيرى اللغة العربيّة في نظره غير مفهومة أو صعبة التّعلم ومنها أخيراً أنّ كل ذلك يؤثر تأثيراً عكسياً على عمليّة التّعليم(حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[38].

ج - الاستمتاع: الواقع أنّ كلام تمام حسان في هذا المقام قد انطوى على جملة نقاط: أوّلها بيان المقصود بهذا المصطلح؛ إذ يشير إلى أنّ هذا المصطلح يعني التّذوق الأدبي وإدراك مواطن الجمال في النّص وأنّه لا يمكن أن يتم إلاّ بعد تعرف مباني النّص اللغوي واستيعاب معانيه. يقول: "المقصود بالاستمتاع التّذوق الأدبي وإدراك مواطن الجمال في النّص، وهذا لا يتحقّق إلاّ بعد التّعرف على مباني النّص اللغوي، واستيعاب معانيه، فإذا تحقّق هذان الأمران أصبح من يستقبل الاتصال الأدبي بمكان يؤهّله، إذا كان له الاستعدّاد الفطري أو الكسبي، أن يتذوق ما يستقبل من الاتصال" (حسان تمام، 1404هـ-1984م)[39] والثّانيّة هي بيان المقصود بمصطلح لغة الأدب؛ إذ يبين أنّ هذا المصطلح لا يعني أنّ هذه اللغة هي لغة خاصّة ومختلفة عن اللغة التي يستعملها المجتمع من حيث الأصوات أو الصّيغ الصّرفيّة أو القرائن النّحويّة أو القواعد، بل يعني أنّها لغوة أو أسلوب نوعي يرتضي-من الخصائص اللغويّة ما لا يرتضيه أسلوب نوعي آخر في اللغة نفسها (أي إنّ الفرق بينها هو

فرق في الاختيار). يقول: "وينبغي أن يكون واضحاً منذ البداية أنّ التّركيب الإضافي القائل" لغة الأدب " لا يعني أنّ لغة الأدب غير لغة العرب وأنّ تراكيب مثل: اللغة الأدبيّة -اللغة العلميّة- لغة القانون -لغة الشّارع -لغة الإعلان -لغة الصّحافة إلخ.. لا تعني تبايناً في الأصوات أو الصّيغ الصّرفيّة أو القرائن النّحويّة أو القواعد بين كل واحدة من هذه وبين الأخرى، وإنّما المقصود باللغة هنا" لغوة " أو " أسلوب نوعي " Register يرتضي-من الخصائص اللغويّة ما لا يرتضيه أسلوب نوعي آخر في اللغة نفسها" (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[40]، والثّالثة هي بيان طبيعة اللغة الأدبيّة، وقد صاغ كلامه هنا من خلال التّفريق بين شكلين من الاستعمال اللغوي: الأوّل أسماه الاستعمال الأصولي، وقد عنى به الاستعمال بحسب الأصل القياسي الذي جرى به الاستعمال لا الأصل المجرّد الذي لم يجرِ به الاستعمال ورأى أنّ أفضل عرض لمفهوم الأصل بهذا المعنى يكون من خلال القرائن النّحويّة من مثل قرينة البنيّة وقرينة الإعراب وقرينة الرّبط وقرينة الرّتبة وقرينة التّضام وقرينة الأداة، وأنّ التّرخص في هذا الشّكل من الاستعمال هو أمر جائز عند المتقدّمين من مستعملي اللغة فقط، أمّا المتأخّرون منهم فليس أمامهم إلاّ أن يلتزموا بحدوده، فلا يخالفوا قواعده المقرّرة (حسان تمام، 1404هـ -1984م)[41]، والثّاني أسماه الاستعمال العدولي، وهنا نراه يتحدّث عن نوعين من العدول: الأوّل هو العدول عن الأصل المجرّد، من مثل العدول عن (قَوَلَ) إلى (قال) (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[42]، والثّاني هو العدول عن الأصل القياسي وقد انصب كلامه هنا على نقطتين: الأولى هي بيان أنّ هذا الشّكل من العدول يسعى إلى غاية أسلوبيّة لا إلى طلب الخفة في النّطق وأنّه يرتبط بقرائن النّحو من مثل قرينة البنيّة التي قد تتعرّض إلى العدول بأحد طريقين: الأوّل هو النّقل كنقل المشتق إلى استعمال الجامد ونقل الجامد إلى استعمال المشتق، والثّاني هو تسخير اللفظ لتوليد معنًى آخر جانبي يضاف إلى معناه الأصلي كالمعاني المتولدة من جرس الكلمة أو علاقاتها العقليّة أو علاقاتها العاطفيّة أو علاقاتها الفنيّة أو انعكاسات استعمالها عليها، وقرينة الإعراب التي قد تتعرّض إلى العدول من خلال ما يسمّى إعراب الجوار كالذي نجده في قوله جل ثناؤه: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ﴾[الاية21 من سورة الإنسان]، وكالذي نجده في قول امرئ القيس (الزّوزني الحسين بن أحمد، 1966م)[43]:

كـــأنَّ ثَبِـــيراً في عَـــرانينِ وَبْلِـــه كبِـــيرُ أنـــاسٍ في بَجـــادٍ مُزَمَّـــلِ

وقرينة الرّبط التي قد تتعرض إلى العدول بأحد طريقين: الأوّل هو عدم مراعاة المطابقة كما نرى في قضايا الالتّفات واختلاف الاعتبار والتّغليب، والثّاني هو عدم مراعاة اللفظ الرّابط وذلك إمّا من خلال حذفه أو من خلال تغيير وظيفته، وقرينة الرّتبة غير المحفوظة التي قد تتعرض إلى العدول من خلال ما يلجأ إليه الأديب أحياناً من التّقديم والتّأخير إمّا لتحقيق غرض بلاغي أو لعادة ترسخت في نفسه، فهو حريص على تحققها في كلامه، وقرينة التّضام التي قد تتعرض إلى العدول من خلال ستة أشياء، هي: الحذف، والزّيادة، والفصل والاعتراض، والتّضمين، وتجاهل الاختصاص (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[44].

أمّا النّقطة الثّانيّة في سياق كلام تمام حسان على العدول عن الأصل القياسي فهي بيان الفرق بين التّرخص والاستعمال العدولي، إذ يلخص الفرق بين هذين الأمرين في هذا المقام في أربع نقاط أساسيّة (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[45]: الأولى هي أنّ الرّخصة لا تكون إلاّ من الفصحاء، أمّا الاستعمال العدولي فإنّه يكون من هؤلاء ومن غيرهم، والثّانيّة هي أن ترخّص المعاصر ينسب إلى الخطأ واستعماله أسلوباً عدولياً ينسب إلى الطّموح الأدبي والثّالثة هي أنّ الرّخصة مرهونة بمحلها والأسلوب العدولي غير مرهون بشيء، والرّابعة هي أنّ الرّخصة نحويّة والأسلوب العدولي أدبي.

هذا أهم ما يمكن للدارس أن يقوله في ميدان كلام تمام حسان على النّقطة الثّالثة من عمليّة الاستمتاع، وهي بيان طبيعة اللغة الأدبيّة، ننتقل بعده إلى الكلام على النّقطة الرّابعة والأخيرة في هذه العمليّة، وهي بيان موقف الطّالب غير النّاطق بالعربيّة من استيعاب النّصوص الأدبيّة العربيّة، فنقول: إنّ كلام تمام حسان ههنا قد تناول نقطتين: الأولى هي بيان صعوبة تقديم إجابة دقيقة على هذا السّؤال (يعني السّؤال عن قدرة هذا الطّالب على استيعاب هذا النّوع من النّصوص)؛ وذلك لأنّ الجانب الشّكلي من النّص (وهو الجانب الذي ركّز عليه في هذا المقام) ليس هو الجانب المؤثّر الوحيد في تلك الاستجابة المعقدة، بل هناك جانب آخر مهم جداً في هذا المقام، وهذا الجانب هو جانب المضمون (حسان تمام 1404هـ - 1984م)[46] والثّانيّة هي بيان أنّ للاستمتاع معنيين: الأوّل هو معنى الحال النّفسيّة المريحة السّارة التي يصل إليها المرء عن طريق رؤيّة الشّيء الممتع، والثّاني هو معنى الحال العقليّة الواعيّة التي تجعل النّاظر قادراً على أن يقول: هنا موطن إمتاع بسبب كذا وهنا موطن قبح بسبب كذا، وأنّه بموجب هذا المعنى الثّاني فقط يمكن أن يُوصَل إليه بوساطة التّعلم (حسان تمام، 1404هـ - 1984م)[47].

الخاتمة: لقد حاولنا في هذا البحث أن نقدّم - جهد الاستطاعة - دراسة مركّزة لجهود تمام حسان في مجال الدّرس اللساني التّطبيقي العربي، وقد أفضى بنا البحث في هذا المجال إلى جملة نتائج، يمكن أن نوجزها على النّحو التّالي:

1- إنّ جهود تمام حسان في هذا المجال لم تشمل مجالات علم اللغة التّطبيقي التي ذكرناها في بداية هذا البحث جميعها، بل إنّها قد اقتصرت على بعضها دون بعض؛ إذ نستطيع أن نجد له كلاماً في ثمانيّة مجالات منها فقط؛ هي: تصميم الأنظمة الكتابيّة ولغة الإعلام، والتّخطيط اللغوي، وكتابة المعاجم (إعداد المعاجم) والتّرجمة، ومحو الأميّة والنّقد الأدبي وأصول التّذوق، وتعليم اللغة، على حين لا نجد له كلاماً على بقيّة المجالات، من مثل هندسة الاتصال اللغوي، والإعلان التّجاري والتّحليل النّفسي-(علم اللغة النّفسي-) وعلاج العيوب النّطقيّة، وجغرافيا اللهجات وطرق استخدام العقول الإلكترونيّة، وعلم اللغة الاجتماعي.

2- إنّ كلامه في تلك المجالات الثّمانيّة السّابقة الذّكر لم يكن، في رأينا، موفقاً دائماً، بل إنّه كان ينطوي أحياناً على أمور تحتمل المناقشة، ويمكن أن نقدّم مثالاً لذلك ممّا جاء في اقتراحه المتعلّق بإصلاح نظام الكتابة العربيّة؛ إذ نجده في النّقطة الثّانيّة من هذا الاقتراح (نؤكّد مرّة ثانيّة أنّ تمام حسان لم يتخلَّ عن هذه النّقطة، بل تخلّى عن تطبيقها بسبب ما يقف في وجه هذا التّطبيق من عقبات) يرى أنّ إصلاح هذا النّظام يكون من خلال الاعتماد على رموز كتابيّة جديدة مشتقّة من الأبجديتين الإغريقيّة واللاتينيّة، متجاهلاً الإمكانات الكبيرة التي يمكن للنظام الكتابي العربي التّقليدي أن يقدّمها في هذه السّبيل.

3- إنّ كلامه في تلك المجالات الثّمانيّة السّابقة الذّكر لم يكن متساوياً في القيمة؛ فعلى حين نجده في بعضها لا يعدو أن يكون مجرد إشارات بسيطة، نجده في بعضها الآخر قد تجاوز هذا الوصف إلى حد بعيد، بل ربما وصل إلى حد النّظريّة التّامة الأركان.

4- إنّ جهود تمام حسان في هذا المجال لا يمكن أن تُوصَف بأنّها درس لساني تطبيقي عربي تام البناء، ولكنّها، مع ذلك، تعدّ قاعدة مهمّة يمكن للدارسين العرب أن ينطلقوا منها باتجاه هدفهم المتمثّل في تأسيس هذا الدّرس، ولاسيما في بعض جوانبها المتقدّمة، من مثل جهوده في مجال تعليم اللغة العربيّة الفصحى لغير أبنائها.

المراجع:

1- حسان تمام، قضايا اللغة، مجلّة المناهل بالمغرب، العدد 14، 1979م.

2- حسان تمام، اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، عالم الكتب، القاهرة، ط4 2000م.

3- حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، 1986م.

4- حسان تمام، لغة الإعلام، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، الجزء 62 1988م.

5- حسان تمام، اللغة العربيّة والحداثة، مجلّة فصول بمصر، المجلد 4، العدد 3، الجزء1 1984م.

6- حسان تمام، اللغة العربيّة والشّعوب الإسلاميّة، من قضايا اللغة العربيّة المعاصرة المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، تونس، 1990م.

7- حسان تمام، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م.

8- حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ج2 2006م.

9- حسان تمام، نحو تنسيق أفضل للجهود الرّاميّة على تطوير اللغة العربيّة مجلّة اللسان العربي بالمغرب، المجلد11، الجزء الأول، 1974م.

10- حسان تمام، وظيفة اللغة في مجتمعنا المعاصر، مجلّة المجلّة بمصر السّنة 10 العدد114، 1966م.

11-حسان تمام، شاعريّة ابن زيدون في ضوء منهج مستحدث، مجلّة الكتاب ببغداد السّنة9، العددان11 – 12، 1975م.

12- حسان تمام، صوتيّة الأدب، مجلّة الأزهر، المجلد 31، الجزء3، 1959م.

13- حسان تمام، موقف الأديب والفنان بين الحريّة والالتّزام، مجلّة المناهل بالمغرب العدد3 ، 1975م.

14- حسان تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، ج2 2000م.

15- حسان تمام، التّمهيد في اكتساب اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها، معهد اللغة العربيّة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1404هـ – 1984م.

16-الزّوزني الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السّبع، قدم له عمر أبو النّصر 1966م.

الإحالات:

[1] حسان تمام، قضايا اللغة، مجلّة المناهل بالمغرب، العدد 14، 1979م، ص 86 - 89.

[2] حسان، تمام ـ اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، عالم الكتب، القاهـرة، ط4، 2000م ص 144 - 146.

[3] حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، 1986م، ص 21.

[4] حسان تمام، اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، 2000م، ص145.

[5] حسان تمام، لغة الإعلام، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، الجزء 62، 1988م ص44 - 55.

[6] حسان تمام، اللغة العربيّة والحداثة، مجلّة فصول بمصر، المجلد 4، العدد 3 الجزء1، 1984م، ص 129.

[7] حسان تمام، اللغة العربيّة والشّعوب الإسلاميّة، من قضايا اللغة العربيّة المعاصرة المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، تونس، 1990م، ص 87 - 88.

[8] حسان تمام، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م، ص 144 - 145.

[9] حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ج، 2006م 2 ص 332.

[10] حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص 273.

[11] حسان تمام، نحو تنسيق أفضل للجهود الرّاميّة على تطوير اللغة العربيّة، مجلّة اللسان العربي بالمغرب المجلد11، الجزء الأول، 1974م ، ص290 - 291.

[12] حسان تمام، وظيفة اللغة في مجتمعنا المعاصر، مجلّة المجلّة بمصر، السّنة 10 العدد 114، 1966م ص 39.

[13] حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص330.

[14] حسان تمام، نحو تنسيق أفضل للجهود الرّاميّة على تطوير اللغة العربيّة، ج1 ص 295.

[15] حسان تمام، شاعريّة ابن زيدون في ضوء منهج مستحدث، مجلّة الكتاب ببغداد السّنة 9، العددان11 - 12، 1975م، ص 95 - 116.

[16] حسان تمام، صوتيّة الأدب، مجلّة الأزهر، المجلد 31، الجزء 3، 1959م، ص 339 - 346.

[17] حسان تمام، موقف الأديب والفنان بين الحريّة والالتّزام، مجلّة المناهل بالمغرب العدد3، 1975م، ص 81 – 85.

[18] حسان تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، ج2، 2000م ص7 – 30.

[19] نفسه، ص31 – 73.

[20] نفسه، ص75 – 122.

[21] نفسه، ص123 – 181.

[22] نفسه، ص181 –219.

[23] نفسه، ص275 – 321.

[24] حسان تمام، نحو تنسيق أفضل للجهود الرّاميّة على تطوير اللغة العربيّة، ج1 ص 295.

[25] حسان تمام، التّمهيد في اكتساب اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها، معهد اللغة العربيّة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1404هـ – 1984م ، ص 7.

[26] نفسه، ص 26.

[27] نفسه، ص26 – 31.

[28] نفسه، ص34 – 35.

[29] نفسه، ص59 – 79.

[30] نفسه، ص7.

[31] نفسه، ص81.

[32] نفسه، ص 83.

[33] نفسه، ص84 – 85.

[34] نفسه، ص87 – 92.

[35] نفسه، ص92 – 95.

[36] نفسه، ص95 – 105.

[37] نفسه، ص 99.

[38] نفسه، ص108 – 109.

[39] نفسه، ص111.

[40] نفسه، ص112.

[41] نفسه، ص114 – 116.

[42] نفسه، ص116.

[43] الزّوزني، الحسين بن أحمـــد بن الحسين، شرح المعلـقـات السّبع، قـدم له عمـــر أبو النّصر، 1966م ص 78.

[44] حسان تمام، التّمهيد في اكتساب اللغة العربيّة لغير النّاطقين بها، ص116 – 145.

[45] نفسه، ص146.

[46] نفسه، ص 146 – 147.

[47] نفسه، ص، 149.